فكاهات

الكولونيل جيرار[1]

— ٣ —

وعاد جيرار الى تتمة حديثهِ فقال

ان ما قصصتهُ عليكم ايها الاخوان لا يوازي ما سأخبركم بهِ الآن عن عملٍ خطير قمت بهِ يرغبني في تلاوتهِ عليكم ما اراهُ في وجوهكم من علامات الاصغآء والارتياح ولكني اشعر في نفسي بانقباض عند ما اقابل حياتي الجندية الماضية المملوءة من المخاطر والاعمال المجيدة بحياتي الحاضرة الساكنة الهادئة . ومما ذكرني ذلك الاستعراض الذي شهدتهُ اليوم في ساحة المدينة فان شريطة الوسام التي ترونها على صدري سهلت لي الدخول الى افضل محل ومنــهُ اشرفت على جميع الكتائب والفرق . وقد استحسنت مسير المشاة وهجومهم فلم املك ان رفعت قبعتي لهم ثم اتت رجال المدفعية فحييتهم ايضاً ثم المهندسون فالفرسان فرجال الحراب فالمدرَّعون الى آخر الجيش . وكنت ارفع قبعتي لكل فرقةٍ واشعر ان قلبي يرتفع ايضاً من مقرّهِ كانهُ يود ان يفارق جسمي الذي اضعفتهُ السنون ويلحق بامثالهِ من قلوب اولئك البواسل . ومما زاد في تأثري مرور فرقة الهوسار وهي نفس فرقتي القديمة التي كانت تخوض غمار الموت ورآء كولونيلها الفتى فما وقعت عيني على نظامها وهجومها حتى شعرت ان السنوات العديدة التي مرت بي قد طارت فجأةً عن عاتقي وتخيلت نفسي على ما كنت عليهِ قبل اربعين سنة فلم اعد ارى شيئاً امامي ورفعت عصايَ وناديت باعلى صوتي ندآئي الحربي المعتاد « الى الامام — اتبعوني — ليحيَ الامبراطور »

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ولكن يا للاسف ان صوتي الذي كان يرعد من اول الكتيبة الى آخرها لم يكد يُسمع اليوم ويدي التي كانت اعصابها من فولاذ ونار اصبحت لا تكاد تحمل ثقل العصا . ورأى رجالي حماستي فهتفوا لي هتاف السرور حتى ان الامبراطور نفسهُ ابتسم وحنى رأسهُ مسلماً . اما انا فلم اغترّ بهذه المجاملة فحزنت على شبابي الغابر وقوتي المتفانية وبقيت نهاري كئيباً كاسف البال . ولكن لادعي لازعاجكم بما يؤلمني فاسمحوا لي بزجاجة خمر برغندي فاني احوج اليها الآن من نبيذ بوردو لتزيل انقباضي وتنير وجهي

ولما حضرت الزجاجة افرغ جيرار نصفها في كأسهِ وتجرعهُ دفعة واحدة ثم مص شاربيهِ وأوقد لفافةً واخذ في حديثهِ فقال

لما عادت جنودنا من موسكو بعد تلك الحادثة المشهورة كان مجرد النظر الى سيرها يفتت الاكباد ويذيب الجماد لانهُ لم يبقَ من تلك الجيوش الكثيفة سوى كتائب قليلة متفرقة تسير افرادها الواحد بعد الآخر حانياً ظهرهُ مطرقاً برأسهِ الى الارض آسفاً على الانتصار العظيم الذي منعتهُ من الحصول عليهِ الطبيعة والعناصر والاقدار . وكانت طريقهم في وسط السهول الواسعة المكسوة بالثلج لا يرون فيها الا بقع الدماء والاعضاء المبتورة ومخلفات الحرب وكأن تلك الحالة نزعت كل سرور من قلوب الجنود فلم يكن فيهم من ينبس ببنت شفة وساد السكوت على تلك البقعة حتى ان الثلج اخفى صوت وقع الاقدام ودوس الحوافر . وكان يظهر على جوانب الخط من حين الى آخر كتائب من فرسان القوزاق فيلبثون ماضين في طريقهم وربما تتعجبون من عدم هجومهم على تلك الشراذم الباقية من رجالنا ليفنوهم دفعةً واحدة ولكن لا يخفى عليكم ان زمهرير البرد القارص وثلوج روسيا لم تكن لتطفئ الحرارة المضطرمة في قلوب الفرنسويين ولا سيما لان معهم المارشال ناي ذلك البطل الملقب بالاسد الذي كانت جيوش القوزاق ترتعب من مجرّد نظرهِ والذي كان صوتهُ يفوق دوي المدافع وطلقات البنادق وقد كانت قبعتهُ في ذلك الحين هي العلم الذي تجتمع اليهِ جميع ابطال فرنسا

اما انا وفرقتي الهوسار فلم نذهب مع الجيش الى موسكو ولكنهم تركونا في مدينة بورودينو للمحافظة على خط الرجوع . ولم افهم كيف استطاع الامبراطور ان يتقدم الى موسكو بدوننا وقد دلني عملهُ هذا على ان الاضطراب كان قد بدأ يؤثر في دماغهِ وان نجم سعادتهِ اصبح على وشك الافول . ولما كان اهم واجبات الجندي الطاعة بقيت في بورودينو وانقطعت الى ترتيب الفرقة واعدادها بمؤونتها وذخائرها وخيولها . فلما عاد ناي بالشراذم التي ذكرتها كانت فرقتي من اتمّ الفرسان اهبةً فانضممنا الى ناي . ولما رآني صافحني وقال . . . ولكن ما الفائدة من اعادة ما وجّه اليَّ من كلمات الاطرآء والمديح فاكتفي بأن اقول انهُ وكل اليَّ حراسة جيشهِ وكف شر القوزاق الذين كانوا يتبعوننا كالذئاب منتظرين الفرص للايقاع بمن يتخلف منا على طول خط مسيرنا

واشتدّ علينا الضيق بين ويلفا وسمولنسك فاننا قاومنا البرد وتحامينا القوزاق اما الجوع فلم يعد في امكاننا دفع شرهِ . واذ ذاك استدعاني المارشال ناي اليهِ فوجدتهُ في عربة كان ينام فيها فلما شعر بقدومي نظر اليَّ بوجهٍ عليهِ علامات القلق والكمد وقال ايها الكولونيل جيرار ان الرجال يتضورون جوعاً فيجب ان نقوتهم . فقلت على الفور دونك الخيول يا مولاي . قال لم يبقَ منها سوى خيول فرقتك وهذه لا يمكننا الاستغناآء عنها . فقلت خذ خيول رجال الموسبق لان هؤلآء لا يحاربون ويمكننا المسير بدونهم . فتبسم واخذ يدي فهزها وقال عافاك الله يا جيرار فأنت مثلي لا تعرف معنًى لكلمة اليأس . ثم تناول صحيفةً فتحها امامي وقال انظر . وكانت الصحيفة خريطةً دلني بأصبعهِ على نقطةٍ فيها وقال هذه مدينة منسك وقد بلغني من جاسوس روسي ان بهذه المدينة مخازن عديدة مملوءة قمحاً فأودّ منك ان تذهب بالعدد الذي تراهُ موافقاً من الرجال وتحضر لنا ما تيسر من القمح فتقابلنا قرب سمولنسك فاذا حبط سعيكم لم يكن فيهِ زيادةٌ على خسارة بعض افراد واذا نجحتم فانكم تأتون بحياة جديدة للجيش كلهِ . وعلمت انهُ يقول ذلك على خلاف اعتقادهِ لانهُ كان يعد خسارة الجيش بأسرهِ اهون عليهِ من خسارتي وخسارة رجالي ولكني لم

اقف عند ذلك وانصرف فكري الى خطورة المهمة التي كلفنيها والشرف الذي انالهُ اذا قضيتها فأجبتهُ بكلام جعلهُ يضمني الى صدرهِ اعجاباً ببسالتي واقدامي وقال اذهب ايها الحبيب لا عدمتك من رفيق

وقد رأيت الاحزم ان استصحب معي بعض الرجال الاشدآء واجعل اعتمادي على القوة لا على الكثرة فاخذت كتيبة من رجالي وثلاثين فارساً بولونيًّا وخرجنا من المعسكر في نفس تلك الليلة ووجهتنا الجنوب الى منسك . ولحسن حظنا كان القمر في المحاق فانسللنا تحت ستار الظلام وكنا نرى عن بعدٍ نيران فصائل من القوزاق فمال رجالي الى ان يوقعوا بهم وكدت اجاريهم في ذلك لولا رغبتي في الرجوع العاجل قبل ان يضر الجوع بالجيش . فتابعنا المسير وادركنا الفجر امام غابةٍ دخلناها للاستراحة وجعلت اتفقد الموضع الذي بلغناهُ فوجدت اولاً اننا بعيدون عن كل خطر من جهة الجيوش الروسية التي اجتزنا حدودها بدون ان يُشعَر بنا . ثم رأيت بالقرب منا قرية صغيرة في اولها بيت كبير والى جنو بيها على مسافة غير بعيدة مدينة مكتظة بقبب الكنائس عرفتها انها منسك . فاخبرت رجالي بغرضنا وموقعنا وحالتنا فلم يتمالكوا ان صاحوا فرحاً وطرباً . ولما اقتربنا من البيت الذي في اول القرية رأيت امام بابهِ جواداً مسرجاً وقبل ان ابلغ اليهِ اندفع من البيت رجل فامتطى صهوتهُ باسرع من لمح البصر واخذ يعدو في ذلك السهل بسرعة جعلت قطع الثلج تتطاير تحت حوافر الجواد كانها شرر الكير . وتبينت الراكب فعرفت من لباسهِ انهُ ضابط روسي وادركت للحال انهُ اذا نجا منا لا بد ان ينبه كل تلك المقاطعات فتعرقل مسعانا . فاعملت في خاصرتي فرسي المهماز وكنت راكباً احدى كرائم خيولي واسمها ڤيوليت وتحققت انني ان لم ادركهُ انا فلن يقدر سواي على ذلك . وما زالت مجدًّا في اثرهِ حتى قاربتهُ وكان يلتفت الى جهتي مرةً بعد مرة كانهُ يستشير افكارهُ في امر ثم اخذ من منطقتهِ غدارةً واطلقها عليَّ فمرت رصاصتها قرب رأسي . وقبل ان يتمكن من اخذ سيفهِ كنت قد صرت بحذآئهِ فامسكتهُ من عنقهِ بيد حديدية وجذبتهُ اليَّ فمر جوادهُ من تحتهِ وسقط الى الارض وكنت قد وقفت فرسي فوثبت

عنها وانا لا ازال قابضاً على عنقهِ . ثم ادركتني جنودي البواسل ورأى ان لا مناص لهُ منا فاخذ من جيبهِ ورقة صغيرة مطوية وضعها في فيهِ بقصد ابتلاعها ولكن نسي المسكين ان عين جيرار لا يخفى عليها مثل هذه الامور فزدت الضغط على عنقهِ واخرج بعض الجنود سكيناً ادخلهُ بين اسنان الاسير فاجبرناهُ على فتح فمهِ واخذت الورقة وقد تحقق لي انها رسالة يهمنا امرها . فكاد يجن غيظاً واسفاً ولكنهُ تمالك وقال ما كنت اظن ان رجال الفرنسيس تهتم بالاطلاع على رسالة من عاشق الى عشيقتهِ . فتبسمت وقلت لهُ اعذرنا على فعلنا ايها الشجاع وتيقن انني اذا لم ارَ في الرسالة ما يهم جنودنا اعدتها اليك بمزيد الاكرام وكتمت ما فيها حتى عن نفسي . ولما رأيت رجالي قد تولوا المحافظة عليهِ فتحت الرسالة فرأيت فيها سطراً واحداً باللغة الروسية لم اتمكن من قرآءتهِ وادرتها على رفاقي فلم يوجد بينهم من يستطيع ان يفهم منها سوى انها موجهة الى الجنرال بلاتوف . ثم سألت الاسير عن اسمهِ فقال الكسيس باراكوف واخبرني انهُ كان في زيارة حبيبتهِ في القرية وهو عائد الى منسك . فقلت لهُ اننا قاصدون تلك المدينة ايضاً فنتشرف بصحبتك بعد ان تستريح هنيهة في القرية . فتململ الضابط ثم هدأ روعهُ فمشى معنا ذليلاً . ودخلنا اول بيت صادفناهُ فوجدنا فيهِ رجلاً قبيح الخلقة لم يستقبلني بما ينبغي من الادب وكان لهُ ابنة وحيدة هي عكسهُ في الصورة وحسن الخُلق حنطية اللون ناعمة الجلد سوداء الشعر ولها عينان لم انظر اجمل منهما في حياتي . ولما وقع نظري عليها علمت للحال انها اصبحت لي . ولم يكن الموقف موقف غرام غير اني كنت جائعاً فاحضرت لي زاداً وبينما كنت آكلهُ وقفت تحادثني فعلمت ان اسمها صوفيا وعلمتها ان تناديني باسمي . ورأيتها حزينة النفس فاجتهدت في تسليتها وتعزيتها وضممتها الى صدري فمسحت بوجهي الدموع التي بدأت تتساقط من مقلتيها . وسألتها عن سبب بكآئها فقالت اني ابكي لحالة اسيركم هذا فانهُ اذا كانت جنودكم انفسها تتضور جوعاً فلا شك انهُ سيلاقي عندكم شر ميتةٍ من الجوع والبرد ولقد رأيت في وجهك اثراً للشفقة والحنو افلا تهب لي هذا الاسير . فتبسمت وقد لاح لي امرٌ عزمت على اتمامهِ وقلت لها حبًّا وكرامةً .

ثم نظرت الى الاسير فقلت لهُ اني اطلق سراحك اكراماً لهذه الفتاة بشرط ان لا تغادر هذا البيت قبل اربع وعشرين ساعة . فوعدني بذلك وقد امتلأ فمهُ بالشكر لي فقلت لهُ اذهب راشداً ولا تشكرني على ما فعلت بل اظهر عرفانك لهذه المنة لاول جندي فرنسوي تراهُ يحتاج الى مساعدتك . ولما خرج من امامي ابرقت اسرة صوفيا ونظرت اليَّ شاكرةً فقلت لها قد وهبت لكِ ما سألتِ فأودّ منكِ في مقابلة ذلك ان تعلميني شيئاً من لغتكم . قالت افعل ذلك بكل سرور . قلت فلنبتدئ بقرآءة هذه الوُرَيقة واخرجت من جيبي الرسالة التي اخذتها من الضابط . فلما وقع نظرها عليها وكانت لا تزال مسرورة باطلاق الاسير قرأتها بدون تروٍّ وقالت معناها « اذا بلغ الفرنسويون منسك خسرنا كل شيء » . وما كادت تتم العبارة حتى امتقع لونها فصاحت آه ماذا فعلت فقد خنت وطني . اما انا فتبسمت وقلت لا يشقّ ذلك عليكِ فلستِ بأول شخص امتلكهُ جيرار . ولم يكن الوقت يسمح لي بأن اغازلها فتركتها وناديت رجالي للتقدم الى منسك وقد تحققت من الرسالة ان منسك لاحامية فيها وايقنت ببلوغ المرام . ولما بلغنا المدينة توجهنا رأساً الى دار بلديتها حيث القمح المخزون فتركت جنودي خارجاً ودخلت مع اثنين من الضباط فقط . ولكن لم تطأ اقدامنا داخل البناية حتى ظهرت امامنا فرقة من الجنود الروسية قابلتنا للحال بطلق ناري من بنادقهم فسقط رفيقايَ الى الارض ودخلت رصاصتان في ردآئي واخرى في قبعتي . فصحت بجنودي وقد ارتددت اليهم لكنني لم أبلغهم حتى رأيت ابواب البناية تفتح ويخرج من جميع جهاتها كتائب من القوزاق سدوا علينا المنافذ وحاولنا اختراق الطريق فلم نفلح لكثرة عددهم وما كدت اصل الى فرسي حتى اجتمع عليَّ بعض جنودهم فأقتوني في الارض واخذ احدهم رأسي بين يديهِ فضرب بهِ الارض مراراً حتى عدمت رشدي . ولما أفقت وجدت نفسي أسيراً في ايديهم ورأيت اكثر من نصف رجالي مطرَّحين على الثرى والباقين محاطين بالجنود الروسية فوددت أن انتحر لو كان بيدي سلاح تخلصاً من تلك الاهانة التي نزلت بي . وتذكرت المارشال ناي واعتمادهُ عليَّ ثم سقوطي في هذا الفخ بدون تروٍّ فانحدرت

دمعةٌ محرقة على وجنتي ورآها آسري وكان وحشاً ضارياً بصورة انسان قبيح المنظر فقهقه ضاحكاً وقال لم اكن أظن ان ذلك القائد الكرسكي يأتي ليفتتح بلادنا بصبيان كبار يبكون عند الشدة . فتململت تأثراً ونظرت اليهِ باحتقار وقلت لو ساعدني الحظ لمقابلتك شخصيًّا ونحن متساويان كنت أجيبك على كلامك هذا . فقال لا أمل لك في ذلك لان رئيسنا لا يبقيك هنا الى الصباح . ولما قال ذلك صدرت الاوامر فأحاطوا بالاسرى واركبوني على فرسي ڤيوليت وكأنها عرفت ما أصابني فظهر عليها الانكسار الشديد وقادونا الى خارج المدينة . فسرنا في ذلك السهل الثلجي بمنتهى الحزن وزاد على ذلك تصرف الضابط الفظ فانهُ كان يرفع سوطهُ احياناً ويضرب من تخلف من عساكرنا كأنهُ يقود قطيعاً من الحيوانات العجم . وأفضى بنا المسير عند منتهى النهار الى قريةٍ علمت انهم ينوون المبيت فيها ومررنا امام بيتٍ عرفتهُ للحال انهُ بيت صوفيا الذي جئتهُ في الصباح ظافراً وفي المسآء أسيراً فأظلمت الدنيا في وجهي . غير ان حالة الجندي لا تكون الا كذلك فيوماً ينتصر ويوماً ينكسر ويكون يوماً في نعيم ويوماً في جحيم وتارةً أميراً وطوراً أسيراً فهو في تقلبٍ دائم لا يثبت فيهِ سوى الشجاعة والشرف

وترجلت الجنود الروسية فامرهم الضابط ان يتفرقوا بالاسرى في المنازل واصدر الاوامر المشددة بالمحافظة عليهم لكي لا ينجو احد . وكان اهل القرية قد تألبوا علينا وهم يرقصون ويعزفون سروراً لفوز جنودهم ورأيت بينهم صوفيا ووالدها . فلما وقع نظرها عليَّ كتمت سرورها ثم اقتربت من الضابط وكلمتهُ بكلام لم اسمعهُ فنظر اليَّ ثم هزّ رأسهُ بما يشير الى الاباء . ولما ألحت عليهِ كثيراً اقترب مني وقال هذه الفتاة تطلب ان تبيت الليلة في دارها وكنت اوثر ان تبيت في الصحرآء لكي تعتاد منذ الآن مناخ سيبيريا ولكني سأجيب طلبها بشرط ان يكون سجنك دهليزاً في اسفل البيت وان تعدني بشرفك ان لا تحاول الهرب . قلت لا اقبل لك منةً فلا اعدك شيئاً . قال ستنام اذاً هنا على الطريق وعسى ان ترى في سريرك الثلجي ما يريحك في نومك . وقبل ان يبتعد عني عادت صوفيا الى التوسل والالحاح ثم

قالت لهُ ان هذا الرجل قد اسر اليوم في بيتنا الضابط بارا كوف ثم اطلقهُ كرماً منهُ فلا اود ان يكون للفرنسويين فضلٌ علينا ولا اقل من دهليز نحرسهُ فيهِ يقيهِ قرص البرد والموت . ثم ظهر من البيت بارا كوف نفسهُ وكان لا يزال فيهِ حسب وعدهِ لي في الصباح فأيد كلام الفتاة وساعدها في الالحاح على الضابط حتى اقنعاهُ ولكنهُ اصرّ على ان اعدهُ بعدم محاولتي الفرار فابيت . فتقدمت الفتاة ونظرت اليَّ بغنج وقالت عدني انا بذلك . فقلت لكِ ما تريدين واقسمت لها اني لا احاول الفرار . فصفقت سروراً وسارت امامي مع والدها فتبعتها مع الضابط الى ان دخلنا البيت فنزلنا سلماً اوصلنا الى قبوٍ بارد تحت الارض قد نُضّدت فيهِ الاخشاب والحطب و بقي في وسطهِ فسحة صغيرة اقاموني فيها واخذ الضابط مصباحاً تفقد بنورهِ جوانب القبو ثم قال لي اتمنى لك نوماً سعيداً في هذا الفندق الذي هو احسن ما يمكننا تقديمهُ لكم وعسى في غارتكم الثانية ان تلاقوا بلاداً تستقبلكم باحسن من استقبالنا . ولما قال هذا خرج بعد ان اوصى الفتاة ووالدها بان لا يكلماني ولا يقدّما لي شيئاً من المأكول والمشروب

ولما اقفل عليَّ باب سجني وقفت حزيناً لحبوط مسعاي وقد تمثل لي حال الجيش الذي تركتهُ وهو على شرف الهلاك من عدم القوت ثم اخذت افكر اذا اوصلوني في الغد الى القائد العام وارسلني الى سيبيريا فماذا يحل بوالدتي . وما زلت كذلك الى ان شعرت بوقع اقدامٍ تقترب مني ثم سمعت صوتاً يقول خذ كل واشرب وتقوَّ وابقَ مستيقظاً مستعدًّا . فتبينت المتكلم بنور المصباح الضعيف فاذا بهِ بارا كوف الذي اطلقت سراحهُ في الصباح . وقبل ان استفسر معنى كلامهِ ترك لي شيئاً واختفى فاقتربت مما اتى بهِ فوجدتهُ طعاماً فاخراً من اللحم وزجاجة من الخمر وكنت جائعاً جدًّا فالتهمت الطعام وجرعت الشراب فعادت اليَّ قوايَ . وجلست أتفكر فيما قالهُ لي ان ابقى مستيقظاً حتى مضى القسم الاعظم من الليل فنبهني صرير المفتاح في القفل ثم فُتح الباب فدخل منهُ شخص واقفلهُ ثانيةً ولما اقترب مني وجدتهُ صوفيا فسررت بقدومها . أما هي فاقتربت بتأنٍ ثم قالت لي

هل صفحت عني يا كولونيل . فقلت كيف اصفح عمن لا أدري لهُ ذنباً . قالت ربما لم تعرف ذنبي فاعلم ان الرسالة التي ترجمتها لك كانت على عكس ما قرأتهُ تماماً اذ كان مكتوباً فيها « دعوا الفرنسويين يأتون الى منسك فنحن في انتظارهم » فلو ترجمتها لك بنصها لنجوتم ولكني عكست لك المعنى فأصابكم ما انتم فيهِ الآن . اما أنا فما سمعت منها ذلك حتى استشطت غيظاً وهممت بأن اقول أو افعل شيئاً لكنها قاطعتني قائلة لا شك انك محب لوطنك وانك تحترم كل من يحب وطنهُ وأتيقن انك تطنب بمدح فعلتي هذه وتسرّ جدًّا اذا فعلت النسآء الفرنسويات ما فعلتهُ لو اتفق لهنّ مثل هذه الحال . ثم ألحت عليّ طالبة الصفح فلم يمكني الا الاعجاب بذكآئها فصفحت عنها . ثم ناولتني مفتاحاً وقالت يوجد ورآء هذه الاخشاب باب فافتحهُ بعد خروجي واخرج منهُ وورآءهُ ممرّ طويل ينتهي بك الى حيث ينتظرك باراكوف بفرسك وسيفك فاركب وسر بحفظ الله بلّغك الله وجهتك سالماً . وكنت كمن يحلم فلم اكد أصدق ما سمعت ولكنني رميت بالمفتاح الى الارض وقلت لا . لا يمكنني الهرب . قالت ولماذا . قلت لاني اقسمت ان لا افرّ . قالت ولمن اقسمت . قلت لكِ . قالت فانا احلك من قسمك هذا فاذهب واياك التأخر فقد قربنا من اواخر الليل . ولما الحت عليّ اخذت المفتاح ثم ضممت صوفيا الى صدري مودعاً وخرجت فما بلغت آخر الممر حتى رأيت باراكوف ينتظرني فناولني سيفي وساعدني على الركوب ثم قال قد اطلقت سراحي في صباح امس وطلبت مني ان اظهر عرفاني لهذه المنة لاول فرنسوي يحتاج الى مساعدتي فلا احقّ منك بذلك فاذهب بسلام واذكر اني قد برئت مما لك عليّ . ولم يمهلني لاشكرهُ فاغتنمت الفرصة واطلقت لفيوليت العنان وكأنها علمت ما انا فيهِ وسرّها اني نجوت فكانت تطير بي على تلك السهول الثلجية . واجتزت مراراً على بعض رجال الحرس فاعطيتهم الشعار (كلمة المرور) وكان قد القاهُ اليّ باراكوف فلم يعترضني احد وما زلت سائراً حتى بلغت مأمني

وما كدت اتحقق النجاة حتى سمعت وقع حوافر جواد ورآئي وصوتاً يناديني

فوقفت انتظر القادم حتى انتهى اليَّ فاذا بهِ الضابط الذي اسرني فلم اهتم بالفرار من امامهِ . ولما حاذاني قال لقد خطر لي ان الفرنسويين لا يعبأون بالشرف وعلمت انك ستنكث وعدك بعدم محاولة الفرار فبقيت مستيقظاً لاعلم ماذا تفعل واشكر الله انني تبعتك وقد عرفت كيف احرسك بعد الآن . قلت اقصر كلامك ايها الوغد واعلم ان الشرف لايكون الا في الدم الفرنسوي فأنا لم اعدك بما ذكرت . قال ولكنك وعدت الفتاة التي أضافتك في بيتها . قلت نعم فهي التي لها الحق ان تطالبني بوعدي . ولما قلت ذلك جردت سيفي في وجههِ فصاح آه من الخائنة فانها هي التي أطلقت سراحك فسنرى بماذا تجيب غداً وهي سائرة الى سيبيريا . ولم اسمع تلك الكلمة حتى اقشعرّ جسمي فكان جوابي ان طعنتهُ بسيفي في شعر لحيتهِ الكثيف فخرج نصل السيف من ظهرهِ وسقط الى الارض وألقيت بنفسي ورآءهُ فوجدتهُ قد اسلم الروح

وبعد يومين من تلك الحادثة بلغت سمولنسك وانضممت الى بقية ذلك الجيش وقد كان يسير بين الثلوج تاركاً ورآءهُ خطًّا متصلاً من الدم والجثث وعُدَد الحرب فاقشعرَّ جسمي من ذلك المنظر الذي يفتت الفؤاد وهو الى الآن لا يفارق عينيَّ ولا يزال يتابعني في احلامي

ولما بلغنا وارزوف كنا قد تركنا خلفنا كل مدافعنا وادوات النقل وثلاثة ارباع جيشنا ولكن شرف جيرار لم يتخلف . وقد قال بعضهم انني نقضت وعدي في الفرار من اسري فليحذر الذين يقولون ذلك امامي لان الحقيقة كما قلتها لكم الآن وليست كما يرويها بعض ذوي الاهوآء وليعلم الجميع ان جيرار مع تقدمهِ في السن لا يزال لهُ ساعدٌ يقوى على حمل السيف وانامل تستطيع الضغط على زند الغدارة في وجه الذي يتجاسر على تكذيبهِ أو اهانتهِ